دور أئمة أهل البيت عليهم السلام في الدراسات اللغوية، والأدبية والقرآنية - حلقات درس الإمام الصادق عليه السلام في مسجد الكوفة أنموذجاً

الأستاذ المساعد الدكتور حيدر زوين
جامعة الكوفة ـ كلية الآداب
haider.ha.zwain@gmail.com
الدكتور عبد الكريم جعفر الكشفي
مدير تربية ديالى الأسبق

The role of the Imams of the 'ahlalbayt (peace be upon them) in the linguistic, literary and Quranic studies - The sessions of the Imam Al-Sadiq (peace be upon him) lesson in the Kufa Mosque as a model

Assistant Professor Dr. Haider Zwain
University of Kufa , College of Arts
Dr. Abdul KarimJaafar Al-Kashfi
The former Director of Diyala Education

الملخص:-

يعد مسجد الكوفة أحد أقدم المساجد المقدسة لدى الشيعة الإمامية، وأهمها؛ نظرا لاستقطاب الوافدين من العلماء وطلبة العلم قديما وحديثا، وتفيد الروايات بأن أول من وضع الحجر الأساس للمسجد وشيّده بمساحة واسعة هو نبي الله آدم عليه السلام، ثم أعاد إعماره النبي نوح عليه السلام بعد الطوفان، كما قام المسلمون في سنة ١٧ هـ عند أول تواجدهم في الكوفة بتعمير المسجد ودار العمارة فيه، وقد ازدهرت الكوفة حينما نقل اليها الإمام علي عليه السلام الخلافة ومعه عدد كبير من الصحابة الابرار وذلك بعد انتصاره في معركة الجمل سنة ٣٦هـ، وعاش فيها سبعون صحابيا ممن شهدوا بدرا، كما عاش فيها: (عمار بن ياسر، وعبد الله بن مسعود، وغيرهم) من الصحابة الأجلاء، فضلا عن علماء كثر يصعب احصائهم.

من هنا ظهر الدور الرسالي والثقافي للإمام الصادق، عليه السلام، فظهر في زمنه التخصص في القرآن، وآداب اللغة العربية، و العقائد، وفي الفلسفة، وفي الكيمياء، والطب وغيرها من العلوم التي كانت تدرس في حلقات درس الامام الصادق في مسجد الكوفة، ان التعامل الصحيح والأخلاق الجمة والطريقة الحكيمة في التعامل مع أهل العلم، هي التي جعلت الآلاف من طلبة العلم آنذاك يلتفون حول الإمام، وقد قطعوا المسافات البعيدة للوصول الى منبع العلم الحقيقي، وأدى هذا الأمر إلى ازدهار حلقات الدرس في مسجد الكوفة، ونشر العلوم الاسلامية كافة.

الكلمات المفتاحية: أئمة أهل البيت، الإمام الصادق، الدراسات القرآنية، الدراسات اللغوية، المسجد الحرام، مسجد الكوفة.

Abstract:-

The Kufa Mosque is one of the oldest mosques sacred to the Imami Shiites, and the most important of them is; Due to the attraction of scholars and seekers of knowledge, in the past and present, and the narrations indicate that the first person to lay the foundation stone for the mosque and build it on a large area was the Prophet of God Adam (peace be upon him), then the Prophet Noah (peace be upon him) rebuilt it after the flood, as the Muslims did in the year 17 AH At their first presence in Kufa, the mosque was built and its architecture was built, and Kufa flourished when Imam Ali (peace be upon him) transferred the caliphate to it and with him a large number of righteous companions, after his victory in the Battle of the Camel in the year 36 AH, and seventy companions who witnessed Badr lived in it, as he lived in it (Ammar bin Yasir, Abdullah bin Masoud, and others) is one of the venerable Companions, as well as many scholars that are difficult to count.

From here emerged the missionary and cultural role of Imam Al-Sadiq, (peace be upon him), and in his time he showed specialization in the Qur'an, Arabic language literature, beliefs, philosophy, chemistry, medicine and other sciences that were taught in the courses of Imam al-Sadiq's lesson in the Kufa mosque. Correct dealing, great morals and a wise way of dealing with scholars are what made thousands of students of knowledge at the time rally around the imam, and they traveled great distances to reach the source of true knowledge, and this matter led to the prosperity of study circles in the Kufa mosque, and the spread of all Islamic sciences.

Key words: Imams of the 'ahlalbayt, Imam al-Sadiq, Qur'anic studies, linguistic studies, the Grand Mosque, Kufa Mosque.

المقدمة:

يعد مسجد الكوفة من أهم المساجد لدى المسلمين بعد المساجد الثلاثة الأولى عند المسلمين في المكانة والسموّ، وهي (المسجد الحرام، مسجد النبي والمسجد الأقصى) كما يعد أحد أقدم المساجد المقدسة لدى الشيعة الإمامية، وأهمها؛ نظرا لاستقطاب الوافدين من العلماء وطلبة العلم قديما وحديثا، وتفيد الروايات بأن أول من وضع الحجر الأساس للمسجد وشيّده بمساحة واسعة هو نبي الله آدم عليه السلام، ثم أعاد إعماره النبي نوح عليه السلام بعد الطوفان، كما قام المسلمون في سنة ١٧هـ عند أول تواجدهم في الكوفة بتعمير المسجد ودار العمارة فيه، وقد ازدهرت الكوفة حينما نقل اليها الإمام علي عليه السلام الخلافة ومعه عدد كبير من الصحابة الابرار وذلك بعد انتصاره في معركة الجمل سنة ٣٦هـ، وعاش فيها سبعون صحابيا ممن شهدوا بدرا، كما عاش فيها: (عمار بن ياسر، وعبد الله بن مسعود، وغيرهم) من الصحابة الأجلاء، فضلا عن علماء كثر يصعب احصائهم.

وحين وطأت قدما الإمام جعفر الصادق عليه السلام المولود ١٧ ربيع الاول/٨٣ هـ والذي استشهد في ٢٥ شوال ١٤٨ هـ مسجد الكوفة فجر ينابيع: (المعرفة، والعلم، والحكمة)، وبخاصة في الدراسات القرآنية الأدبية، إذ فتح للناس أبواباً من العلوم لم يعهدوها من قبل إذ ملأ الآفاق بعلمه الجم وثقافته الواسعة؛ كما انه أسهم في إعداد قيادات واعية ودعاة مخلصين يحملون رسالة الإسلام المحمدي الأصيل إلى جميع الحواضر الإسلامية إذ أسهمت في نشر علوم القرآن وفكر أهل البيت عليهم السلام وإسراء أحكام الشريعة، وذلك من خلال تنشيطه لحلقات الدرس في مسجد الكوفة والذي ازدهر في زمنه ازدهارا لا مثيل له، إذ ركزت هذه الحلقات على تطوير العلوم في مختلف الاختصاصات، من: (القرآن، والأدب، والفلسفة، وعلم الكلام، والطب، والرياضيات، والكيمياء) علاوة على وضع القواعد والأصول الاجتهادية والفقهية كأساس مهم للتشريع الإسلامي الذي ضمن بقاؤه واستمراره. ومواجهة خطر أعداء الإسلام بأسلوب سلس وهدوء رسالي جميل وفنّد آراء المخالفين وأثار حب واحترام مريدي حلقات الدرس في مسجد الكوفة حتى من قبل الأعداء والمخالفين.

من هنا ظهر الدور الرسالي والثقافي للإمام الصادق، عليه السلام، فظهر في زمنه التخصص في القرآن، وآداب اللغة العربية، والعقائد، وفي الفلسفة، وفي الكيمياء، والطب وغيرها من

العلوم التي كانت تدرس في حلقات درس الامام الصادق في مسجد الكوفة، ان التعامل الصحيح والأخلاق الجمة والطريقة الحكيمة في التعامل مع أهل العلم، هي التي جعلت الآلاف من طلبة العلم آنذاك يلتفون حول الإمام، وقد قطعوا المسافات البعيدة للوصول الى منبع العلم الحقيقي، وأدى هذا الأمر إلى ازدهار حلقات الدرس في مسجد الكوفة، ونشر العلوم الاسلامية كافة.

المبحث الاول

نظرة على مسجد الكوفة ومكانته

الكوفة هي البقعة التي بارك الله فيها، فأصبحت بيتا، ومعبدا لعدد كبير من الأنبياء والصالحين منهم نبي الله آدم وابنه ونبي الله شيت هبة الله، وعدد من الطاهرين الصالحين والأولياء، فهي بيت ومعبد نبي الله نوح، وفيها مرسى سفينته عليه السلام، ومنها فار التنور، وإليها يحن الانبياء والأولياء، والصالحون، والمخلصون، وهي من ضمن البقعة التي اشتراها نبي الله ابراهيم الخليل عليه السلام بمائة ناقة وسميت بانقيا وتعني بالآرامية (با اي مائة، ونقيا اي ناقه) (م /السرائر الحاوي لتحرير الفتاوي، ابو جعفر محمد بن ادريس الحلي ت٥٩٨هـ، مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدسة، ١٤١٠هـ، ج١، ص٤٧٩).

وبعد الفتوحات الإسلاميّة في العراق أصبحت الكوفة محطة المجاهدين، ومستقر القبائل، وحلقة الوصل بين المدينة المنورة، عاصمة المسلمين والمناطق المحررة، وكانت مركزا تموينيا للجيوش التي تحارب في الجبهات العسكرية في العراق والمناطق الشرقية. ويعد مسجد الكوفة أحد المساجد الأربعة في الاسلام التي لها قدسية ومكانة، وروحية كبيرة، وأشار الإمام علي عليه السلام إلى ذلك بقوله:((إنه أحد المساجد الأربعة التي تعظم، ولأن أصلي فيه ركعتين أحب الي من أن أصلي عشرة في غيره الا في المسجد الحرام ومسجد رسول الله صلى الله عليه وآله) (م / مسجد الكوفة في التاريخ: د.حسين أمين، مجلة الكوفة، العدد الخامس، ٢٠٠١م، ص٤ج).

وبقيت بقعة هذا المسجد المباركة منتظرة نور حبيبها المصطفى صلى الله عليه وآله حتى تشرفت بتلك الطلعة البهية لتقام في قلبها صلاة الجماعة بإمامة المصطفى الطاهر صلى الله عليه وآله في حادثة الاسراء والمعراج، وبعد برهة من الزمن جاءت طلائع المسلمين فاتحة بلاد النهرين وأرض السواد المباركة ليتم إعادة بناء هذا المسجد المبارك والصرح الإلهي العظيم ، ولكنه بقي ينتظر بلهفة

مقدم أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام؛ لتلامس جبهته الشريفة صعيد ثراه الطاهر وليتعطر هواه بأنفاس سيد أولياء الله ووالد الأئمة المعصومين حجج الله على خلقه، إذ نقل الإمام علي عليه السلام مقر خلافته اليها، وأصبح مسجدها مركز اشعاع لكل المسلمين، ومن على منبره الشريف سمع الناس كلامه وخطبه وارشاداته وتوجيهاته التي صارت دستورا للمسلمين. وفي محراب مسجد الكوفة تخضبت الشيبة المقدسة شيبة الإمام علي عليه السلام من دماء الرأس الشريف، بسبب الاعتداء الأثيم الذي وقع ضده من قبل الشقي عبد الرحمن بن ملجم عام٤٠هـ، إذ انتقل الى دار الخلود، وفقدت الكوفة مركزها القيادي بعد استشهاد الإمام علي عليه السلام، وسيطرة الشام على زمام الأمور، وأصبحت الكوفة مصرا بعيدا عن القيادة، وقد أضعفها بصورة أكبر بناء الحجاج بن يوسف الثقفي لمدينة واسط عام٨٣هـ، ولولا وجود الإمام علي عليه السلام، وبفضل عددها وتعدد وظائفها ما كان لها من دور اجتماعي وعسكري وسياسي.(م/ نشأة المدينة العربية الإسلامية: هشام جعيط، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٩م، ٣٠ - ٤١)

وبجنب هذا المسجد المقدس بيت أمير المؤمنين، وهو من عضادة المسجد اليمنى إلى ساحته والملاصق لمحراب الإمام عليه السلام، وكان بجنب المحراب باب يمرّ إلى قصر الإمارة التّي لا تزال إطلاله ماثلة إلى هذا اليوم، وينتهي إلى بيت الإمام عليه السلام، وهو قريب من دار الإمارة على بعد ٨٥ متراً، ولا يزال البيت موجوداً، وعليه قبّة خضراء، وهذا البيت يقصده المؤمنون للتّبرك به.

ولمسجد الكوفة أبواب خمسة هي:

١- **باب كندة:** وهي من الأبواب المعروفة سميت بذلك؛ لأنها قريبة من منطقة كندة إحدى أحياء الكوفة، ومنها خرج الشهيد مسلم بن عقيل عليه السلام حين تفرّق الناس عنه، وكانت كل الأبواب تفتح على الرَّحبة، وهي ساحة يبدو أنّ مكانها كان بين المسجد وبيت الأمير عليه السلام الذي تقع بجواره الآن أطلال قصر الإمارة.

٢- **باب السُّدة:** وهو الذي كان يدخل منه أمير المؤمنين عليه السلام، وموضعها على مقربةٍ من المحراب، ويُفضي منها إلى بيت الأمير مروراً بجانب قصر الإمارة.

٣- **باب الحُجّة** عليه السلام: في الجانب الغربي من المسجد.

٤- **باب الثُّعبان:** وهو المعروف الآن باسم باب الفيل: وفي سبب التسمية، وكما ورد في المصادر المعتبرة هو: بينما أمير المؤمنين عليه السلام يخطب على منبر الكوفة، إذ ظهر ثعبانٌ إلى جانب المنبر وجعل يَجرّ ويَرقى، حتى دنا من أمير المؤمنين عليه السلام، فارتاع الناس من ذلك، وهمُّوا أن يدفعوه عن الإمام، فأومأ بالكفِّ عنه، فلمّا صار الثعبان على المنبر رقى إلى المرقاة التي عليها الإمام، ثمّ قام الثعبان ثمّ انحنى الإمام على الثعبان، فتطاول الثعبان إليه حتى التقم أذنه، فتحيَّر الناس من ذلك وهو يُحدِّثه، فَسَمع من كان قريباً كلام الثعبان، ثمّ زال عن مكانه، وجعل أمير المؤمنين عليه السلام يُحرِّك شفتيه، والثعبان كالمُصغي إليه، ثمّ سار الثعبان، وعاد أمير المؤمنين عليه السلام إلى خطبته وتمَّمها، فلمّا فرغ نزل من المنبر، فاجتمع إليه الناس يسألونه عن حال الثعبان والأعجوبة فيه، فقال عليه السلام: ((ليس ذلك كما ظننتم، وإنّما كان هذا حاكماً على الجنِّ، فالتبست عليه قضيّة وصَعُبت عليه فجاء ليستفهمها فأفهمته إيّاها، فدعا لي بالخير وانصرف))، وكان الثعبان قد دخل من الباب عكس القبلة، فسُمِّي باب الثعبان واشتُهر بذلك، فَكَرِه بنو أُميّة ظهور هذه الفضيلة لأمير المؤمنين عليه السلام، فربطوا في ذلك الباب فيلاً وراموا أن تُنسى تلك الفضيلة، فعُرِف بباب الفيل.

٥- **باب الأنماط:** وهو أحد الأبواب المعروفة.(م / الكوفة بين البعد التاريخي والتطور العلمي: د.حسن عيسى الحكيم، العارف للمطبوعات، النجف الأشرف، ٢٠١١م، ص٩٨) وهو يُحاذي باب الثعبان؛ لكنّه سُدَّ لاحقاً.

٦- **باب الرّحمة:** افتُتح في العام١٩٦٨م.

وكان لكلّ قبيلة من قبائل الكوفة باب باسمها؛ لكن بتداول الأيّام والحوادث المتعاقبة سُدَّت الأبواب، ولم يبقَ منها إلَّا باب الثعبان، وباب الرّحمة الذي افتُتح حديثاً.

أما مقامات مسجد الكوفة، وهي المواضع التي اتّخذها الأنبياء أو الأئمّة المعصومون صلوات الله عليهم أجمعين مكاناً للعبادة والصلاة، فهي كثيرة ومن هذه المقامات:

١- مقام النّبيّ محمّد بن عبدالله صلى الله عليه وآله أو مقام المعراج: يقع في وسط المسجد، قريباً من المزولة، وهي رخامة بحدود مترين كانت: وسيلة لتحديد الزوال في صلاة الظهر، ويُرجَّح أنّه الموضع الذي نزل وصلّى فيه رسول الله صلى الله عليه وآله في رحلة الإسراء، كما في

الحديث الوارد عن الإمام الصادق عليه السلام.

٢- مقام أمير المؤمنين عليه السلام، وفيه المحراب، وهو في غرفة واسعة، تضمّ مقامَ نبيّ الله نوح عليه السلام، وفيه كان يصلّي أمير المؤمنين عليه السلام وفيه استُشهِد سلام الله عليه، ومن هنا سمّي المكان بالمقام؛ لأنّه عليه السلام كان يُقيم صلاته فيه. وكان بجانب المحراب باب يمرّ إلى قصر الإمارة التّي لا تزال إطلاله ماثلة الى اليوم. وهذا المحراب يتعاهده المؤمنون بالتبرُّك، وقد نُصب عليه شبّاك من الفضّة والذهب المطلي، وقد أُنشىء حديثاً بناءٌ كبير في موضع المحراب.

٣- مقام الإمام زين العابدين عليه السلام: وهو عند الاسطوانة السابعة، على مقربة من محراب الأمير عليه السلام، ويبدو أنَّ أبا حمزة الثمالي تعرّف إلى الإمام في هذا المكان، ففي الرواية عن أبي حمزة، قال: ((دخلتُ مسجد الكوفة فإذا أنا برجل عند الاسطوانة السابعة قائم يصلّي يحسن ركوعه وسجوده ثمّ انفتل وخرج من باب كندة)) فتبعه أبو حمزة وسأل أحدهم عنه، فقال له: هذا عليّ بن الحسين عليه السلام.

٤- مقام الإمام الصادق عليه السلام: على مقربة من مدخل مرقد الشهيد مُسلم بن عقيل.

٥- مقام نبي الله إبراهيم عليه السلام: وهو عند الأسطوانة الخامسة، فعن أمير المؤمنين عليه السلام أن نبي الله إبراهيم عليه السلام صلى فيه في رواية، ويُرجّح أنّه المقام المقابل لباب الثعبان.

٦- مقام الخضر عليه السلام: ملاصقٌ لمقام إبراهيم عليه السلام. وروى الشيخ الطوسي في الأمالي عن الشيخ المفيد أنّ أمير المؤمنين كان يُصلّي في مسجد الكوفة، فدخل عليه الخضر، وقبّل رأسه ثمّ شيّعه الأمير عليه السلام إلى خارج المسجد.

٧- مقام آدم عليه السلام: قريباً من مقام الإمام زين العابدين، وهو مقام وفّق الله تعالى فيه النبي آدم عليه السلام للتّوبة.

٨- مقام نوح عليه السلام: وهو المقام المُلاصق لمنبر الأمير ومحرابه.

أما الاماكن الأثرية من غير المقامات فهي:-

- بيت الطّشت أو الطّست: هو المكان الذي برزت منه معجزة لأمير المؤمنين عليه السلام في بنت عزباء كانت قد غاصت في ماء فيه العلق، فوَلجت في جوفها عَلَقَة، فَنَمَت

وكُبرت ممّا امتصّته من الدّم، فكبر بطن البنت فحسبها أخوتها حبلى، فراموا قتلها، فأتوا أمير المؤمنين عليه السلام؛ ليحكم بينهم، فأمر بستار فضُرب في جانِب من المسجد وجُعلت البنت خلفه، وأمر بقابلة الكوفة ففحصتها، وقالت: إنّها حبلى تحمل جنيناً في جوفها، فأمر عليه السلام بطست من حمَأة الطين الأسود الذي أصابته العفونة، فأُجلست البنتُ عليه، فأحسّت العَلقة بذفر الحمأة فانسلّت من جوفها نحو الطّست، فظهرت بذلك براءة الفتاة، وفي رواية أنه عليه السلام مد يده فأتى بقطع ثلج من جبال الشام وجعله تحت الطست فانسلت العلقة. (م/ مفاتيح الجنان المعرب، عباس القمي، تعريب السيد محمد رضا النوري النجفي، دار اليوسف بيروت لبنان، د.ت ص٣٨٨)

- دَكّة القضاء: وهي الدكة التي كان الامام علي عليه السلام يقضي للناس عليها في المسجد أبان عهده.
- المِزولة: وهي عمود صخري، أقيم وسط مسجد الكوفة لتحديد وقت زوال الشمس أو تحديد صلاة الظهر.

أما المراقد والأماكن المقدسة في الكوفة فهي:-

- مرقد الشهيد مسلم بن عقيل بن أبي طالب عليه السلام.
- مرقد المختار بن أبي عبيدة الثقفي (رض).
- مرقد الصحابي الشهيد هاني بن عروة (رض).
- مزار السيّدة خديجة بنت أمير المؤمنين (رض)
- مرقد الشهيد ميثم التمّار، من خيار أصحاب الأمير (رض)،

وقد حددوا تاريخ استشهاده عام ٦٠ هجرية اي قبيل استشهاد الامام الحسين عليه السلام.

(م/ الرجال: أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي ت٤٦٠هـ، المطبعة الحيدرية النجف، ١٩٦١م، ص١٥١)

ولابد ان نمر مرورا سريعا على مسجد الكوفة في حقبة الامام والعصور اللاحقة لحكم الإمام علي عليه السلام؛ فمسجد الكوفة في زمن خلافة أمير المؤمنين(٣٦-٤٠ هـ)، كان مركزاً

للحكم، ومنبراً للخطابة، وبعد هلاكهم ومجيء سراق الخلافة العباسيين قاموا باستغلال مسجد الكوفة في بداية أمرهم، فجعلوه مركزاً لدعوتهم، فكان يجتمع فيه مناصروهم، وفيه بويع لأبي العبّاس السّفاح، وجعله في بادئ أمرِه مقرّه، ومركزا لحكمه قبل أن ينتقل إلى مدينته الهاشميّة، وفي هذا المسجد برز الدور الكبير للإمام جعفر الصادق عليه السلام، عندما سكن الكوفة سنتين إذ وصل سنا الكوفة لكل الأمصار والمدن، وجذبت الكوفة بفضل وجود الإمام الصادق فيها جهابذة علوم اللغة وأساطين العلماء في العلوم المختلفة والمحدثين والكتاب، وفي العصر العباسي الثاني، عنِيَ البُوَيْهيّون بالعتبات المقدّسة، واهتمّوا بعمارتها وإرسال الهدايا لها، ومنها مسجد الكوفة، وعندما فرغ عضد الدّولة البويهيّ من تجديد عمارته، دعا العلماء والأشراف والشعراء إلى حضور افتتاحه، وكان من بينهم الشاعر الحسين بن الحجّاج، فأنشد قصيدته في مديح الامام علي عليه السلام التي مطلعها:-

يـا صـاحبَ القُبّـة البَيْضـاء في النّجـفِ مَـن زارَ قـبرك واستشـفى لـديك شُـفي

(م / الكنى والألقاب: عباس القمي، المطبعة الحيدرية، النجف الاشرف١٩٥٩م، ص٢٥١)

وبعد البويهيين اهتمّ بعمارته الصفويّون والعثمانيّون، إلى أن تداعت عمارته القديمة في أوائل القرن الثالث عشر الهجري، فأصلَح سوره وما فيه من المقامات المرجع الديني الكبير السيّد محمّد مهدي بحر العلوم الطباطبائي(رض)، وقد شهدت الكوفة ومسجدها المعروف نهضة فكرية أدبية، وثقافية قل نظيرها، كما عرفت نحاة، وأدباء كبارا سطعت أسماؤهم في سماء النحو وآداب القران، ففضلا عن الكسائي عرف ابو جعفر الرؤاسي المتوفى سنة١٧٥هـ، وثعلب المتوفى سنة١٨٧هـ، والذي يعد خاتم الكوفيين وآخرون لا مجال لذكرهم هنا. (م/المسجد الجامع في الكوفة التاريخ والهوية والدور الكبير: السيد عبد الأمير المؤمن، مركز هاني بن عروة للدراسات، الكوفة، ٢٠١٣م، ص١٧٤).

المبحث الثاني

حلقات الدرس وأهميتها في مسجد الكوفة

يُعَدُّ مسجد الكوفة قلب التجمعات البشرية في المجتمعات الإسلامية منذ بزوغ نور الإسلام وبداية مراحل تكوين المجتمع المسلم، فقد كان هذا المسجد أول مؤسسة دينية

تربوية اجتماعية شهدت حلقات الدرس، لقد أنشئ مسجد الكوفة سنة١٧ هـ٦٣٦م على يد سعد بن أبي وقاص، وفي بادئ الأمر لم يكن له جدار، ثم عمل له جدار من القصب ثم بني باللبن ثم الحجارة سنة٥١هـ-٦٧٠م.

وتاريخ هذا المسجد طويل فقد وُسِّع وهُدم وبُنِيَ عدة مرات، وكانت حلقات الدرس محط أنظار الناس، وانتظم بها المسلمون من كل حدب وصوب.(م/ دور المساجد في الإسلام: علي محمد مختار - رابطة العالم الإسلامي، بيروت ١٤٠٢ هـ، ص٣٥).

وعلى مرّ العصور أصبحت حلقات الدرس العلمية في مسجد الكوفة ثالث معهد علمي ديني عرف عند المسلمين، فكما اشتهرت جامعة القرويين بجامع فاس، أقدم جامعة إسلامية في المغرب، والأزهر الشريف في القاهرة، كذلك اشتهرت حلقات الدرس في مسجد الكوفة، والذي امتد عمرها إلى قرابة ألف عام، لقد كان لهذه الحلقات أثر كبير في انتشار فكر مدرسة أئمة أهل البيت عليهم السلام، ذلك التراث الأصيل الذي يمثل التفسير، وعلوم القرآن، والفقه، والحديث، وأصول الفقه، والفلسفة الإسلامية). وقد ساعد على استمرارية هذه الحلقات و المسيرة الطويلة لها وجود ائمة أهل البيت وبخاصة الامام الصادق عليه السلام، واقبال أعداد كبيرة من العلماء الى الكوفة كحاضرة معروفة. وللمكانة العلمية للكوفة وصفت في بحار الأنوار وبشائر الرضوان، وكما وردت في قول أبي عبد الله الحسين عليه السلام فيها: ((إن الكوفة جمجمة العرب، ورمح الله وكنز الايمان)) (م / فضل واعمال مسجد الكوفة، اصدار مسجد الكوفة والمزارات الملحقة به، ٢٠١٣م، ص٢٥).

أهم مزايا حلقات الدرس في مسجد الكوفة:-

١- أنها تختلف كثيراً عن سائر حلقات الدرس الإسلامية الأخرى، اذ أنها ذات الجذور الأصيلة، والامتداد التاريخي البعيد، إنها تمتاز ببعض الجوانب العلمية والفنية الفريدة.

٢- أنها عامة لكل المسلمين، وأنها لم تختص بمذهب معين، أو جنس معين، فقد كانت لكل المسلمين في شتى بقاع العالم.

٣- إن الطالب في هذه الحلقات لا يفكر بالمنصب او يفكر بأن ينال شهادة، أو يجتاز عقبة امتحان رسمي ليحظى بوظيفة، إنما يفكر بطلب العلم فقط.

٤- أن الطالب فيها حر في اختيار الدرس والمدرس والمادة العلمية.

٥- إن التدريس في هذه الحلقات وبكل انواعها مجاني.

٦- إن الطالب في هذه الحلقات يدرس (القرآن العربي، والنحو، والمعاني، والبيان، والبلاغة، والمنطق) كمقدمة لدراسته، وبذلك أصبح مسجد الكوفة محط الأنظار وقبلة النظار من: (العلماء، والقادة، والولاة، والخلفاء)؛ فقد روي عن الإمام علي عليه السلام حين نظر إلى الكوفة فقال:(ما أحسن منظرك، وأطيب قعرك اللهم اجعل قبري بها) (م/تاريخ النجف المنتخب من كتاب تحفة العالم: السيد جعفر بن محمد باقر بحر العلوم، منتدى النشر، النجف الأشرف، ١٤٣٢هـ، ص٢٢).

٧- فضلا عن مزية حلقات الدرس هو عمق البحث ودقته، وسعة أفقه، والحرية الكاملة في نقد الآراء ومناقشتها مهما كان صاحبها.

٨- عندما شرف الامام الصادق مسجد الكوفة أدخل دراسة العلوم الطبيعية مثل: (الرياضيات، والفيزياء، والكيمياء)، وغيرها.

ويعد مسجد الكوفة من أشرف بقاع الأرض، فقد ورد في تفسير العياشي، عن بدر بن خليل الأسدي، عن رجل من أهل الشام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: أول بقعة عبد الله عليها ظهر الكوفة؛ لما أمر الله الملائكة أن يسجدوا لآدم، فسجدوا على ظهر الكوفة. (م / تفسير العياشي: لأبي النظر محمد بن مسعود بن عياش السلمي السمرقندي المعروف بالعياشي، ت٣٢٠هـ، المكتبة الاسلامية، طهران، ١٤٢٢هـ، ص٣٤).

وبعد أن توسعت حلقات الدرس في الكوفة، وتوسع استيطان العرب فيها أيام الدولة العباسية ازدهرت في الكوفة مختلف علوم القرآن، والآداب، وتطور الخط العربي الكوفي بإسهام فعال من عرب الحيرة، وفيها ولد اتجاه الزهد والتصوف وتطور علم التفسير وآداب اللغة، والأخبار وجمع الشعر، أما في علوم القرآن، والعلوم الدينية؛ فقد نشأت مدارس فقهية على يد الإمام جعفر الصادق مؤسس الفقه الجعفري وعلى يد الإمام أبي حنيفة النعمان (٧٥هـ-١٥٠هـ) شيخ مدرسة الرأي في الفقه، وأبي مخنف أحد كبار المؤرخين العرب، والكسائي شيخ مدرسة الصرف والنحو في الكوفة، وفي الوقت الذي أسهمت فيه

الكوفة في بلورة الثقافة العربية الاسلامية حتى نهاية الدولة العباسية، وذلك باستعادة التراث الشعري العربي، ازداد الاهتمام بتفسير القرآن وتطور علم الكلام وعلم الأنساب، وبتطور علم الكلام الذي ارتبط بتطور المجتمع أصبحت الكوفة أكثر عقلانية ونقدا وشكلت البؤرة الأولى والأساس لفكر المعتزلة العقلاني الذي تطور فيما بعد ببغداد، وفي الكوفة تأسست جماعة إخوان الصفا وخلان الوفا، الذين عرفوا بجرأتهم العلمية وأفكارهم النقدية الثاقبة حين جمعوا بين: (الدين، والفلسفة، والسياسة) في حركة علمية جدلية متقدمة على عصرها، وكان من مبادئهم العظيمة دعوتهم إلى حرية الفكر والرأي وعدم التعصب لمذهب من المذاهب، وقد أطلق عليهم الفيلسوف الألماني أرنست بلوخ أوائل التنويريين في الاسلام.

وشيئا فشيئا تعَود الناس و الجند والأعراب على الحياة في الكوفة والحواضر الأخرى؛ فاستبدلوا الخيام ببيوت من القصب والبردي أولا ثم استبدلوها ببيوت من اللبن، والطين ثم الآجر ثانيا، كما كان جاريا في بلاد الرافدين، وهكذا رسمت الكوفة طريقها نحو المدينة الحضرية في القرون الستة الاخيرة، إذ بنى سعد أولا المسجد ثم دار الإمارة، وبيت المال، ثم وزعت قطع أراض لسكنى القبائل حولها، وقد أحيطت بعدها بخندق لحمايتها. وبمرور الزمن حدث تمازج وتزاوج وتثاقف بين العرب الفاتحين وسكان العراق من العرب وغيرهم، إذ بقيت الجماعات التي لم تعتنق الاسلام على مسيحيتها، ويهوديتها، وصابئيتها، وكان المجال أمامها مفتوحا؛ لكي تؤدي دورا مهما للمشاركة الفعالة في تطوير الثقافة والحضارة العربية الاسلامية في الكوفة، وكل ذلك يعود الى ازدهار مسجد الكوفة وتطور حلقات الدرس فيه؛ فأصبحت الكوفة قاعدة لشتى العلوم والمعارف والآداب، والقيم النبيلة. (م/ أعلام الكوفة من الصحابة والتابعين في القرن الهجري الأول: د. محمود محمد الموسوي، أمانة مسجد الكوفة، والمزارات

المبحث الثالث

جهود الإمام الصادق عليه السلام في ازدهار العلوم الأدبية، واللغوية، والقرآنية في مسجد الكوفة

تعد العترة الطاهرة ورثة الكتاب وحملة علم الرسول صلى الله عليه وآله، وقد هداهم الله الى معالم الحياة التي ساروا واهتدوا على هديها وبلغوا السعادة، واذا كان موضع رسول الانسانية محمد صلى الله عليه وآله من القرآن الكريم موضع بيان وبلاغ، فإن موضع الامام الصادق هو أداء وإبقاء؛

لأنه خليفة الرسول الله في أداء رسالة الله عز وجل في الأرضين؛ فهو باب علمه، والشهيد على الخلق، يعني أن الإمام كان يحمل في طيه ذلك الحس المرهف الذي كان النبي منعما به، الا أنه ليس بنبي؛ فهو مستودع حكمته، والمؤدون عنه ليكون الرسول عليه شهيدا، قال الصادق في قوله تعالى: ((القول في تأويل قوله: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾))النساء:٤١، قال الإمام الصادق: ((نزلت في أمة محمد صلى الله عليه وآله خاصة، في كل قرن منهم امام منا شاهد عليهم، ومحمد شاهد علينا.))(م/ الْكَافِي، ثِقَةُ الْاسْلَام أَبو جَعْفَر مُحَمَّد بْن يَعْقُوب بْن اسْحَاقَ الكُلَيْنِيُّ الْرّازِيُ، ت٣٢٨ هـ، تحقيق عَلي أَكْبَرُ الْغِفَارِيُّ، دَارُ الْكُتُبِ الْاسْلَامِيّة، طهْرَان، ١٣٨٨هـ، ج١، ص١٩٠)

إن علوم القرآن، واللغة، والأدب: هي ثمرةُ الجهود المتواصلة للأمّة الاسلامية منذ انبثاق الدعوة المحمدية المباركة، فالمسلمون بشعوبهم المتنوعة وفي ظِلّ الايمان والعقيدة ذابوا في بوتقة الاسلام، وكانَ لحلقات الدرس في عموم المساجد وبخاصة في الكوفة أيام تواجد الإمام الصادق عليه السلام، دورٌ مؤثرٌ في انتشار العلم وبناء صروح الحضارة الاسلاميّة الكبرى، ويكفي تصفّح الكتب المؤلَّفة في العلوم والحضارة الاسلاميّة؛ لنرى كيف تلمع فيها أسماءُ لعلماء الشيعة والسنة والمذاهب الأخرى ومفكّريهم، ممن تخرج من حلقات الدرس في مسجد الكوفة، واما العلوم التي ظهرت ودرست في حلقات الدرس فهي كثيرة جدا وفي مقدمتها علوم القران، وقد كان للإمام الصادق عليه السلام وللحلقات التي أسسها دور كبير في نشر علوم القرآن، والعلوم الاسلامية، كما أسهم بإيصال علوم القرآن الى العديد من الدول الإسلامية، وبدأ إشعاع الكوفة العلمي والثقافي يتوهج وينتشر من حلقات الدرس التي أسسها الامام الصادق فيها، وتحديدا من جامعها، ومنذ تخطيط المدينة عام ١٧ هجرية، حينما بعث عمر بن الخطاب الصحابي الجليل عبدالله بن مسعود إلى الكوفة كتب لأهلها ((إني بعثت اليكم بعبد الله بن مسعود معلما ووزيرا، واثرتكم به على نفسي فخذوا عنه)) (م/الطبقات الكبرى: أبو عبدالله محمد بن سعد الزهري ت٢٣٠هـ، دار صادر - بيروت، ١٩٥٧م، ج٦، ص١٣).

لقد أسهم الامام الصادق عليه السلام من خلال منبر الجمعة، وحلقات الدرس في الكوفة وعلمائها بالنهوض بعلوم القرآن، والعربية نهضة واسعة في العصرين الأموي والعباسي،

ونبغ في الكوفة علماء كبار يشار لهم بالبنان، حملوا مشعل الفكر العربي الاسلامي والثقافة والعلوم، وصارت الكوفة تنشر علومها في بغداد والشام ومصر وغيرها من المدن الاسلامية، وكانت هي واختها البصرة من أغنى الأمصار الاسلامية من الناحية الثقافية والفكرية، ومن حق الكوفة أن تفاخر البصرة بمجموعة من العلوم الاسلامية والمعارف، التي تجمعت في شخصية الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، الذي استقى منه أئمة المذاهب الاسلامية كثيرا من علومه، وإن حلقات الدرس في الكوفة قد تلاقحت مع حلقات الدرس في المدينة المنورة، كما أن الكوفة استقطبت علماء البصرة وواسط والحجاز في أيام وجود الإمام الصادق بها، إذ يقول مالك بن أنس لما رأى الإمام الصادق يدرس في الكوفة: ((ما رأت عين ولا سمعت أذن ولا خطر على قلب بشر أفضل من جعفر بن محمد الصادق علما وعبادة وورعا))، ويقول أبو حنيفة النعمان بن ثابت: ((ما رأيتأفقه من جعفر بن محمد))(م/ تذكرة الحفاظ: شمس الدين محمد بن احمد ت٧٤٨هـ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر اباد الدكن، ١٩٥٧م، ج١، ص١٥٧).

فقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه كان في مدرسته مهتما بالقرآن، ودراسته كان للقرآن الكريم إفادة عظيمة في كلامه، وأحاديثه عليه السلام، بقدر ما يتعلق بتجليه الواضح كونه أنموذجاً مهما وأساسا في مدرسة أهل البيت ولمدرسته التفسيرية.

وكان من دعائه إذا قرأ القرآن الكريم: ((اللهم اجعلني أتدبر آياته وأحكامه آخذاً بشرائع دينك، ولا تجعل نظري فيه غفلة ولا قراءتي هذرمة، إنك أنت الرؤف الرحيم)، وقال عليه السلام في القرآن: ((لأن االله تبارك وتعالى لم يجعله لزمان دون زمان، ولا لناس دون ناس، فهو في لكل زمان جديد، وعند كل قوم غض إلى يوم القيامة))

(م/عيون أخبار الرضا، أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي المعروف بالشيخ الصدوق، ت٣٨١ هـ/٩٩١م، مطبعة أمير، قم المقدسة، ١٣٧٨هـ، ج١، ص٩٣)

إن الفضل في ازدهار مدرسة الكوفة القرآنية، واللغوية في تلك الظروف القاهرة المستبدة يعود الى الإمام الصادق، فمثلا يقول النجاشي: ((أدركت في هذا المسجد يعني مسجد الكوفة تسعمائة شيخ كل يقول: حدثني جعفر بن محمد))، ويضيف النجاشي الذي كان عينا من عيون هذه الطائفة الشيعية وله مواقف مشهورة عدة: ((وكان من خريجي هذه

المدرسة لفيف من الفقهاء الكوفيين، نظير أبان بن تغلب بن رباح الكوفي، ومحمد بن مسلم الطائفي، وزرارة بن أعين، والمتنبي الكبير، وغير ذلك ممن تكفلت كتب الرجال بذكرهم والتعريف بهم)). ولقد ألف فقهاء الشيعة ومحدثوهم في هذه الظروف في الكوفة (٦٦٠٠) كتاب، ولقد امتاز من بينها (٤٠٠) كتاب اشتهرت بالأصول الأربعمائة، فهذه الكتب هي التي أدرجها أصحاب الجوامع الحديثية في كتبهم المختلفة، ولم تقتصر الدراسة آنذاك على الحديث والتفسير والفقه، بل شملت علوما أخرى ساعدت على تخريج جملة واسعة، من المؤلفين الكبار الذين صنفوا كتبا كثيرة في علوم متنوعة: كهشام بن محمد بن السائب الكلبي الذي ألف أكثر من(٢٠٠) كتاب، وابن شاذان ألف (٢٨٠) كتابا، وابن عمير صنف (١٩٤) كتابا، وابن دول الذي صنف (١٠٠)كتاب، وجابر بن حيان أستاذ الكيمياء والعلوم الطبيعية، إلى غير ذلك من المؤلفين العظام في كافة العلوم الإسلامية؛ فلا غرابة أن تعد الكوفة ثالث مدن العراق بعد بغداد والبصرة، وهي الحاضرة العلمية الفريدة بين الحواضر الاسلامية التي تؤمها الآلاف من طلاب العلم وهواة المعرفة. (م/ معالم النجف الاشرف: د.عباس الترجمان، دار الرافدين، ٢٠١٢م، ص١٣).

لقد كانت أشعة القرآن العظيم تضفي ببهائها، ونورها، في عمق التفكير التأملي للإمام الصادق عليه السلام، وفي مجالات متعددة تتوخى التأمل والاطلاع في كنه الكتاب العظيم؛ فضلا وكفاءة ومعرفة وتفسيرا مدركا لدلالاته، ويمكننا التماس شذرات من هذا التأثير، من خلال العطاء الزاخر للإمام ومن دون حدود، وذلك ينبئ بمدى اهتمام الإمام بكتاب الله الأكبر وعلومه، ولا غرابه في ذلك؛ فهو عدل القرآن وميزانه، وأحد الثقلين وهذا ما خلفه النبي له وللعترة الطاهرة.(م/الامام الصادق زعيم مدرسة أهل البيت: د.محمد حسين الصغير، مؤسسة البلاغ، بيروت، ٢٠٠٤م، ص.٢٨٩)

لقد كان علم التفسير والقراءات عند الإمام الصادق يتمثلان في اهتمامه عليه السلام بمعاني الكلمات وباختلاف ألفاظ القرآن الكريم من ناحية المعنى والأداء، أو بما يصطلح عليه في علم القراءات في الجانب الصوتي بالتنغيم، وفي حروف وحركات ألفاظ القرآن الكريم، وكذلك الصرف وغيرهما مما يتعلق بها، والقراءة الصحيحة المقبولة من الشاذة المردودة، وكذلك القراءات المتواترة، والقراءة الصحيحة التي صح سندها.(م/ منجد المقرئين ومرشد الطالبين، محمد بن الجزري: دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٠هـ، ص٩)

وقد برز في الكوفة عدد من العلماء الذين تتلمذوا على يدي الصادق، وكانوا الأساس للمتأخرين في علم التفسير والقراءة منهم: (ثعلبة بن ميمون، وعبدالله بن يعفور العبدي، وحمران بن أعين، والشيخ حمزة بن حبيب بن عمارة التيمي) شيخ القراءات بل هو شيخ القراء وأحد القراء السبعة للإمام، وكان الإمام الصادق عليه السلام مخالفا إلى التفسير بالرأي، وقال في هذا المجال:((من فسّر القرآن برأيه إنْ أصاب لم يؤجر، وإن أخطأ كان إثمه عليه))، والمقصود بالرأي المجرّد غير السديد الذي لا يتسلح بالمعرفة وبأدوات التفسير، وشروطه التي وضعها أهل البيت عليهم السلام سفارات القرآن لا يعرفها إلا الراسخون في العلم، ولما سأل عنهم:((الراسخون في العلم أمير المؤمنين والأئمة من بعده)، وقال أيضاً: ((نحن الراسخون في العلم ونحن نعلم تأويله))وقال ايضا: ((الرّاسِخُونَ فِي العلم هم آل محمد))٠(م/تفسير الصافي: الفيض الكاشاني المولى محمد حسن، ت١٠٩١هـ، تحقيق الشيخ حسين الأعلمي، مؤسسة الهادي، قم المقدسة، ١٤١٦هـ، ج١، ص٣٠)

ولابد أن نمر على بعض تفسيرات الامام الصادق عليه السلام، والتي هي كثيرة ولا يمكن ان يجمعها بحث، ومن نماذج التفسير لقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ البقرة:٣، قال: من آمن بقيام القائم أنه حق، وسأل عن قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ النساء:٥٩، - منهم أولي الأمر؟

- قال: أولي الأمر هم الأئمة من أهل البيت، وسال عن قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ الجمعة:٩، ينفي الامام الصادق عليه السلام هنا المعنى المتبادل للذهن، كونه السرعة أو الركض في المشي؛ لأنه يستحب الذهاب إلى صلاة الجمعة بوقار وهيبة، والتهيؤ والاغتسال، يقول الإمام: السعي هنا أي أمضوا وهي الدلالة المركزية لهذا اللفظ كما ورد في رواية الإمام الصادق.(م/علل الشرائع، جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي المعروف بالشيخ الصدوق ت٣٨١ هـ - ٩٩١م، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٣٨٦هـ، ص٣٥٧).

ولابد ايضا ان نمر على اهتمام الامام الصادق عليه السلام بالأدب؛ فلقد كان العرب في الجاهلية يعنون بالأدب، واللغة، و الشعر، ولهم آثار واضحة في هذا المجال؛ لكن الآثار

الأدبية المدونة والمنثورة كانت قليلة، باستثناء ما أبدعه المسلمون في تلك الحقبة، واستثناء أمير البلغاء الإمام علي عليه السلام، الذي كان من أمراء النثر واللغة، وكانت خطبه في ذروة في البلاغة النثرية، وقد سار الامام الصادق على نهج جده الإمام علي عليه السلام في حبه للأدب واللغة، فقد ورد في الأثر: أنه أول من رصد جائزة أدبية في تاريخ العرب في حلقات درسه، وكانت هذه الجائزة من عوامل انتشار الأدب وذيوعه في زمن الإمام الصادق، كما أن الإمام لم يفرض اتجاهاً منصوصاً عليه على الناس أو رأياً بعينه في الكتابة؛ بل كان الأديب والموضوع الذي يتفق مع رغبته وذوقه إذ كان يرحب بالأثر الأدبي منظوماً أو منثوراً، ويتقبله ببعد نظر ورحابة صدر، وكان يرى أن الأدب العربي ضرورة مهمة للثقافة الدينية، بل هو ضرورة لتعزيز وإعلاء شأن الناس والسمو بهم وهو مكمل مكارم الأخلاق، وكان يرى أن المجتمع الذي يتحلى أفراده بالأدب والعلم، يبتعد عن الظلم والعدوان على حقوق الغير، وتطرد أحوالهم في سهولة ويسر، وكان يعد القرآن الكريم أصلاً من أصول اللغة والأدب، ولا يمكن لأي أديب أو كاتب أن يستغن عنه؛ لأنه أروع آيات البيان، لقد شجع الامام الصادق عليه السلام طلابه على الكتابة، ودفع تلاميذه وأصحابه إلى التأليف والتصنيف، فاستهل بذلك عهداً جديداً من عهود الأدب المنثور.(م/ينظر الإمام الصادق كما عرفه علماء الغرب: د.نور الدين آل علي، دار القارئ، بيروت، ٢٠٠٧م، ص٢٣٤)

أما في مجال علوم اللغة والتدقيق بألفاظها وأصولها، واشتقاقاتها ومعانيها، فقد كان يعد بحق من المؤسسين لهذه العلوم، والتي أسهمت بشكل مباشر في إقامة صرح الحضارة الإسلامية، وقد ظهر في ميدان هذا العلم المهم جملة واسعة من علماء الشيعة، خلفوا آثارا مهمة أصبحت زادا لطلاب العلم والمعرفة، ومن هؤلاء الأفاضل: (أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد البصري الفراهيدي الأزدي) سيد أهل الأدب، واللغة، وهو أول من ضبط اللغة، وأول من استخرج علم العروض إلى الوجود، فهو أسبق العرب إلى تدوين اللغة، وترتيب ألفاظها على حروف المعجم، فألف كتابه العين الذي جمع فيه ما كان معروفا في أيامه من ألفاظ اللغة، وأحكامها، وقواعدها، ورتب ذلك على حروف الهجاء، فضلا عن ذلك فللخليل الفراهيدي مؤلفات فاخرة وكتب نفيسة منها كتاب النغم، وكتاب الحروف، وكتاب في اختصاص القراءات اللغوية القرآنية، وهناك علماء آخرون، كما أن الفضل في ظهور مدرسة الكوفة النحوية يعود الى تلامذة الامام الصادق، وممن تتلمذ على يدهم في العصور

اللاحقة، وقد برز في هذا المجال أبو جعفر الرؤاسي الكوفي ومعاذ بن مسلم بن ابي سارة وغيرهم، ويقول السيوطي في المزهر عن ابي جعفر الرؤاسي: ((وابو جعفر الرؤاسي هذا هو استاذ الكسائي: وهو أول من وضع من الكوفيين كتابا في النحو)). (م /تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام: حسن الصدر، انتشارات أعلمي ايران - طهران.د.ت، ص٦٣).

وهكذا تبقى مدرسة الامام الصادق عليه السلام، وأهل بيته عليهم السلام، شامخة بأعمدتها الرئيسة من المعصومين عليهم السلام وأتباعهم من بعدهم، فقد خدمت هذه المدرسة بآثارها، ومناهجها واتجاهاتها التفسيرية المتنوعة، الأمة الاسلامية والتي فسرت القرآن، وأسست قواعد الأدب الرصين وزينت مكتبها، وحمت العقيدة من تحديات الانحراف: (الفكري، والعقائدي، والسلوكي) الذي واجهته، وخرجت نخبة من العلماء في التفسير، وعلوم القرآن، والعلوم الأخرى ومنهم: (يَحْيَى بْنِ سَعِيد الْأَنْصَارِيّ، والإمام أبي حنيفة وَابْنِ جُرَيْجٍ، وَمَالِك بْنِ أَنَسٍ، وَالثَّوْرِيّ، وَأَيُّوبَ السَّخْتِيَانِيّ، وَابْنِ عُيَيْنَةَ. (الرجال: أحمد بن علي النجاشي (ت٤٥٠هـ)، طبعة جامعة المدرسين قم المقدسة، ١٤٠٧هـ، ص٤٣٣)ومن أشهر علماء أصول الفقه هو: (هشام بن الحكم، ويونس بن عبد الرحمن، ومولى ال يقطين) الذي صنف كتاب (اختلاف الحديث)(م/ا

لقد كانت مدينة الكوفة وحلقات الدرس فيها والتي كان نواتها أئمة أهل البيت وبخاصة الامام الصادق عليه السلام، والصحابة الذين هبطوا على أرضها، وكان عددهم (٣٠٠) من أصحاب الشجرة وسبعين من أهل بدر، نزلوا في الكوفة وجامعها، كانت مركز اشعاع لبقية الأمصار الإسلامية؛ فعد جامع الكوفة وحلقاته من أقدم المؤسسات العلمية في تاريخ الكوفة، إذ انتشرت علوم القرآن، والأدب، والعلوم، والثقافة بكل أنواعها، وخير دليل ما ذكرناه في أعلاه من الحلقات التي أغناها الإمام الصادق عليه السلام، والتي كان لها الفضل الكبير في نشر أنواع العلوم، وقد استطاع علماء الكوفة الذين تخرجوا من حلقاتها النهوض بعلوم القرآن، واللغة والأدب نهضة واسعة من العصر الاسلامي الاول والى اليوم.

إن الكوفة على الرغم من حملها لواء علوم القرآن، والعلوم الإسلامية، فقد كان علماؤها يقصدون البصرة، ويأخذون من علمائها وهذا ما نطلق عليه اليوم بالتبادل الثقافي بين المدرستين، ونشأت بين علماء الكوفة وعلماء المسلمين صلات فكرية واسعة النطاق،

وكان لعلماء الكوفة حظوة عند الخلفاء أكثر مما كان للبصريين، وتشير النصوص إلى أنه كان في مدينة الكوفة نساء عالمات محدثات في علوم القرآن في القرنين الخامس والسادس الهجريين ساهمن بنشر العلوم، وان ست العشيرة بنت احمد بن سعيد المهابي كانت فاضلة عالمة محدثة مجازة في علوم القرآن، والرواية سماعا عن جدها لأمها أبي الغنائم محمد بن علي بن ميمون (ت٥١٠هـ)، ويروي عنها النسابة عبد الحميد بن التقي عبدالله عن منزلها بالكوفة في١٣ شوال عام ٦٥٦ هـ أمورا مهمة. (م/اعيان الشيعة، الاميني محسن الحسيني العاملي ت١٣٧١هـ، مطابع الاتقان والانصاف، بيروت، ١٤٠٣هـ، ج٣٣، ص٤٣١)

التوصيات والنتائج:ـ

١- ندعو إلى ضرورة دراسة فكر ومنهج أهل البيت في مجال علوم اللغة العربية والأدب العربي، فضلا عن أساليب التعبير القرآني.

٢- إن شخصية الإمام الصادق عليه السلام كان فذة ومبدعة لم تكشف الكتب منهما ودورها الفاعل والذي هو بحاجة.

٣- إن علوم القرآن التي أسسها أهل البيت عليهم السلام كانت الأساس لهذا العلم والعلوم الأخرى.

٤- لقد كانت مدرسة الكوفة التي فعل دورها الامام الصادق النواة في نشر علوم القران والعلوم الاسلامية الأخرى

٥- لقد كانت مدرسة الكوفة وعلومها محط أنظار العلماء وأصحاب الشأن قديما وحديثا.

٦- لم تقتصر مدرسة الكوفة على علوم القران فقط بل درست كل العلوم بما فيها العلوم الطبيعية.

٧- لم تقتصر مدرسة اهل البيت على علوم الشيعة فقد درست فيها كل العلوم.

٨- لقد درس في مدرسة الكوفة العلماء من مختلف المشارب بما في ذلك الدهرين.

٩- خرجت مدرسة الكوفة علماء مشاربهم مختلفة لا يجمعها بحث.

قائمة المصادر والمراجع

إن خير ما نبتدئ به القرآن الكريم

١. أعلام الكوفة من الصحابة والتابعين في القرن الهجري الأول: د. محمود محمد الموسوي، أمانة مسجد الكوفة، والمزارات التابعة لها، ٢٠٠٨م.

٢. أعيان الشيعة، الاميني محسن الحسيني العاملي ت١٣٧١هـ، مطابع الاتقان والانصاف، بيروت، ١٤٠٣هـ، ج/ ٣٣.

٣. الإمام الصادق زعيم مدرسة أهل البيت: د. محمد حسين الصغير، مؤسسة البلاغ، بيروت، ٢٠٠٤م.

٤. الإمام الصادق كما عرفه علماء الغرب: د. نور الدين آل علي، دار القارئ، بيروت، ٢٠٠٧م.

٥. تاريخ النجف المنتخب من كتاب تحفة العالم: السيد جعفر بن محمدباقر بحر العلوم، منتدى النشر، النجف الأشرف، ١٤٣٢هـ.

٦. تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام: حسن الصدر، انتشارات أعلمي ايران - طهران.د.ت.

٧. تذكرة الحفاظ: شمس الدين محمد بن احمد ت٧٤٨هـ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر اباد الدكن، ١٩٥٧م، ج١.

٨. تفسير العياشي: لأبي النظر محمد بن مسعود بن عياش السلمي السمرقندي المعروف بالعياشي، ت٣٢٠هـ، المكتبة الاسلامية، طهران، ١٤٢٢هـ.

٩. تفسير الصافي: الفيض الكاشاني المولى محمد حسن، ت١٠٩١هـ، تحقيق الشيخ حسين الأعلمي، مؤسسة الهادي، قم المقدسة، ١٤١٦هـ، ج١.

١٠. دور المساجد في الإسلام: علي محمد مختار - رابطة العالم الإسلامي، بيروت - ١٤٠٢ هـ.

١١. الرجال: أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي ت٤٦٠هـ، المطبعة الحيدرية النجف، ١٩٦١م.

١٢. الرجال: أحمد بن علي النجاشي (ت٤٥٠هـ)، طبعة جامعة المدرسين، قم المقدسة، ١٤٠٧هـ.

١٣. السرائر الحاوي لتحرير الفتاوي، ابو جعفر محمد بن ادريس الحلي ت٥٩٨هـ، مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدسة، ١٤١٠هـ، ج١.

١٤. الطبقات الكبرى: أبو عبدالله محمد بن سعد الزهري ت٢٣٠هـ

١٥. ، دار صادر - بيروت، ١٩٥٧م، ج٦.

١٦. علل الشرائع، جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي المعروف بالشيخ الصدوق ت٣٨١ هـ - ٩٩١ م، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٣٨٦هـ.

١٧. عيون أخبار الرضا، أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي المعروف بالشيخ الصدوق، ت٣٨١ هـ/٩٩١م، مطبعة أمير، قم المقدسة، ١٣٧٨هـ، ج١.

١٨. فضل وأعمال مسجد الكوفة، اصدار مسجد الكوفة والمزارات الملحقة به، ٢٠١٣م.

١٩. الْكَافِيْ، ثِقَةُ الْاسْلَامِ أَبو جَعْفَرٍ مُحَمَّد بْن يَعْقُوْب بْن اسْحَاقَ الكُلَيْنِيٌ الْرّازِيُ، ت٣٢٨ هـ، تحقيق عَلِي أَكْبَرُ الْغِفَارِيٌ، دَارُ الْكُتُبِ الْاسْلامِيّة، طهْرَان، ١٣٨٨هـ، ج١.

٢٠. الكنى والألقاب: عباس القمي، المطبعة الحيدرية، النجف الاشرف١٩٥٩م.

٢١. الكوفة بين البعد التاريخي والتطور العلمي: د. حسن عيسى الحكيم، العارف للمطبوعات، النجف الأشرف، ٢٠١١م.

٢٢. المسجد الجامع في الكوفة التاريخ والهوية والدور الكبير: السيد عبد الأمير المؤمن، مركز هاني بن عروة للدراسات، الكوفة، ٢٠١٣م.

٢٣. مسجد الكوفة في التاريخ: د.حسين امين، مجلة الكوفة، العدد الخامس، ٢٠٠١م.

٢٤. معالم النجف الأشرف: د. عباس الترجمان، دار الرافدين، ٢٠١٢م.

٢٥. مفاتيح الجنان المعرب، عباس القمي، تعريب السيد محمد رضا النوري النجفي، دار اليوسف، بيروت- لبنان.

٢٦. منجد المقرئين، ومرشد الطالبين: محمد بن الجزري: دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٠هـ.

٢٧. نشأة المدينة العربية الاسلامية: هشام جعيط، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٩م.